



د. العمر: تذكرت المهاجرين والأنصار بمخيمات الأردن..التعلق بالقوى العظمى من الخذلان.."الرابطة" مصدر أمن واستقرار

اللاجئون السوريون، وأهل الأردن ذكروني بالهاجرين والأنصار.. مؤتمر "نصرة سورية" خرج بتوصيات ومشروعات ممتازة.. المجتمع المدني هو مجتمع النبي -صلى الله عليه وسلم-.. الحكومات والجمعيات الخيرية والأفراد مسؤولون كلهم عن نجدة اللاجئين.. سر الثورة السورية في اختلافها الجذري عن غيرها.. الرجوع عن الثورة السورية يعني الموت.. أحداث سوريا كشفت إيران ونظام سوريا و"حزب الله" مثلاً كشفت العراق وأفغانستان أمريكا للحالمين بها بما يفوق كل البيانات.. لا أدعو مطلقاً لمساعدة دولية لسوريا؛ فتلك الدول لا تنتظر صوتنا بل تحركها مصالحها وحدها وسيقبحون الثمن، ولبيبا شاهدة.. القول بالقوى العظمى والبشر من أسباب الخذلان.. التغريب أخطر من الباطنية.. ينبغي أن نبشر الناس ونتفائل بالنصر.. رابطة علماء المسلمين مصدر أمان وعامل استقرار، وليس بديلاً لغيرها.. الشعوب إذا حكمت بغير حكم الله دخلت على نفوسها مؤثرات يصعب أن تنفك عنها.. التجاوب مع الشباب والتعامل مع الشباب أقوى وأسرع وأحڪم، لكن مع ضبطهم.. على الشباب التأدب مع العلماء، وعلى العلماء فتح صدورهم لهم.. معرفتنا بالفروق التي بيننا أكثر من معرفتنا بالنقاط الإيجابية ومساحات التلاقي.

على هامش "مؤتمر الحملة الإسلامية لنصرة سورية" الذي أقيم في إسطنبول مؤخراً، التقينا فضيلة الشيخ الدكتور/ ناصر بن سليمان العمر "رئيس المؤتمر، والأمين العام لرابطة علماء المسلمين، ورئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم"، للوقوف على جهود هذا المؤتمر الذي هدف إلى توحيد الجهود في نصرة الشعب السوري، ورعاية ومتابعة أحوال اللاجئين السوريين في الدول المحيطة بسوريا، لاسيما أن وفداً من رابطة علماء المسلمين قد قام بزيارة مخيمات اللاجئين في الأردن قبيل المؤتمر، واطلع على أحوال هؤلاء، والذين تجاوزوا حد مائة ألف لاجئ سوري.. وفي الحوار أشار فضيلته إلى أهداف المؤتمر في نصرة الشعب السوري، وأوضح لنا رؤيته للوضع في سوريا، وجال بنا في حديث عن التفاؤل بالنصر، وأسبابه، وتحدث عن علاقة الشباب بالعلماء بعد الثورات، وضرورة التكامل بينهما، ولفت إلى دور رابطة علماء المسلمين في تقرير الرؤى وتحقيق الأمن الدعوي وال النفسي وتكاملها مع غيرها..

فإلى نص الحوار -حاوره/ أمير سعيد-:

بسم الله الرحمن الرحيم، في الحقيقة إن أي انطباع لأي شيء لا بد يرتبط بالأهداف التي من أجلها عُقد المؤتمر، وهذا المؤتمر عُقد لعدة أهداف؛ منها اجتماع عدد من العلماء من أنحاء العالم الإسلامي مع المعنيين بالقضية السورية، ورأينا أن رابطة علماء المسلمين هي من الجهات والمنظمات التي تستطيع أن تحقق هذا؛ نظراً لأن رابطة علماء المسلمين ينضم لها قرابة أربعين بلداً، وهذه فرصة مهمة؛ لأن كثيراً - حسب ما رأينا - من اللقاءات السابقة التي حدثت في الشأن السوري كانت غالباً من السوريين فقط والقضية مهمة جداً، فرأينا أن ندمج بين الأمرين، فتم التعاون والاتفاق بين الرابطة وهيئة الشام الإسلامية، ودُعي هذا العدد الكبير جداً من قرابة ثلاثين بلداً مع عدد كبير من المعنيين بالقضية السورية وليس خاصه بالمرتبطين بها، فلم تقتصر الدعوة على علماء الشام المرتبطين برابطة علماء المسلمين، بل دعونا من كل الفئات المعنية بالشأن السوري، هذا هدف وقد تحقق، هذه المسألة الأولى كما رأينا.

الهدف الثاني: هدف تشاركي في القضية، هناك قضايا مهمة وحساسة كان لا بد من التشاور فيها، إن لم يكن الاتفاق، فعلى الأقل ترسيب وجهات النظر، وهذا ما بدا أنه قد تحقق خلال الافتتاح واللقاءات المشتركة، وسار باتجاه جيد.

النقطة الثالثة والأخيرة: هي تفعيل الهدف الإعلامي للمؤتمر لتعريف الأمة بقضية الشام، وبهذا المحك المهم، ولذلك فكما تعلمون - والحمد لله - حفل المؤتمر بتغطية جيدة من عدد من القنوات الفضائية، وغيرها من الصحف والمجلات لنقل الصورة للأمة.

كل هذه الأهداف بالجملة - أقول فيما رأيته من مسار المؤتمر وهذا التجمع - تسير في اتجاه طيب، وقد خرج بتصانيات ومشروعات ممتازة.

حدثت قبل المؤتمر زيارة لكم إلى الأردن ما الذي خرجم به من اللقاء باللاجئين والمسؤولين؟

نعم حدثت زيارة، وكانت الزيارة لها أهداف أحبينا أن لا نأتي للمؤتمر إلا بعد أن نكون رأينا؛ لأن علم اليقين كما تعلمون غير عين اليقين، فتحولنا من علم اليقين الذي كان يصلنا عن النازحين وغيرهم، بل أحداث الداخل السوري، إلى عين اليقين، وذهبنا إلى هناك والتقيينا مع أناس في المستشفيات، والتقيينا مع اللاجئين في عدد من المناطق، وخاصة المناطق الحدودية، وقد وصلنا هناك حتى كنا على مشارف الحدود في سوريا أقرب ما نكون إلى درعا كما تعلم، وكانت فئات وصلت في يومها من هناك، تضم عناصر من الشباب، ومن غيرهم والعوائل والصغار والكبار، فكوننا جئنا للمؤتمر، ونحن كما قلت تحولنا من علم اليقين إلى عين اليقين هذه قضية أولى.

ثانياً: أيضاً إشعار إخواننا أننا معهم، فأشعرناهم أننا سواء من خلال المملكة العربية السعودية أو من خلال رابطة علماء المسلمين التي نمثلها، أننا نقف معهم، وهذا أدخل عليهم الراحة النفسية؛ لأن هناك من يقول: المسلمين غير معندين بشأنكم ويُخْفَض من معنوياتهم، ولكن وجدنا هناك من سبقنا في الحقيقة، وهناك من سيلحقنا، ثم أيضاً أطلعنا على طبيعة ما يُقدم لهم من مساعدات، ووجدنا أنهم بحاجة ماسة إلى الدعم المعنوي والحسبي؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في الحديث المتفق عليه: ((ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا)), وجدنا عوائل هناك أهلهما في الداخل، فعندما يطمئن الأباء أن أهله وأولاده وزوجته وبناته هناك من خلفه فيهم، وهذا يقوّي من عزيمته والعكس بالعكس، وهذا أيضاً كان من الأهداف، وهو من باب شعار المؤتمر (الجسد الواحد) كما في الحديث الصحيح.

هل لمست أن جهود الإغاثة لم تصل إلى الحالة المرجوة؟

فيها خير كثير، والحقيقة أن الإغاثة تحتاج إلى ترقية وترتيب، وفيها نوع من الفوضى، وجدنا مخيماً مثلاً فيه قرابة ألف ومائتي شخص أو ضاعهم - اسمح لي - أقرب إلى الوضع المأسوي، يؤسفني أن يقال هذا الأمر طبعاً؛ لاسيما أنهم يتجددون، أي أن العدد الحقيقي أكبر من ذلك بكثير، مع الاعتراف أن الإخوة في الأردن، وخاصة الجمعيات الأردنية، والجمعية التي ذهبت معها

هي جمعية الكتاب والسنّة وغيرها تقوم بجهد تعجبنا منه بشدة، فمع قلة الموارد لديهم وقلة الإمكانيات كانوا يعملون أعمالاً تفوق قدراتهم ويشكرون علينا، بل وجدنا أن الشعب الأردني قام بواجب رائع حقيقة وليس هذا بمستغرب عليه، فقدموا في إيواء إخوانهم النازحين أشياء عجيبة، فتصور ونحن واقفون يأتي شخص -وعندنا يكون الإنسان مشغولاً بسكن أولاده- ويطلب من مركز إيواء إيواء ثمان أسر كاملة في دفعة واحدة، حقيقة فهؤلاء أعتبرهم -وليس بغرير عليهم- كالأنصار الذين آتوا المهاجرين - رضي الله عنهم - أجمعين.

هل أتيت عن المؤتمر محاولة للتنسيق بين الجهود الإغاثية، وهل سجد مبادرة في الاتجاه الإغاثي أو رعاية اللاجئين؟ الحقيقة المؤتمر لا نريد أن نحمله أكبر من طاقته، فال المؤتمر تعاون بين رابطة علماء المسلمين وبين هيئة الشام الإسلامية، نحن نريد أن نكل كل هذه الأمور لهيئة الشام الإسلامية، فهي هيئة متخصصة تعاون مع الهيئات الأخرى، ونريد أن تنظم ما يأتي من تبرعات أو غيرها كلها لتصب في مسارها الصحيح حتى لا تحدث الفوضى التي قد تقع في مثل هذه الظروف، وقد يكون فيها من الخلل ما لا يخفى.

لكن بوجه عام، هل لديك طموح أن يكون هناك نوع من التنسيق حتى في مسائل اللاجئين خارج القضية السورية؟ والله لا أحب الوعود؛ لأن الوعود - يا أخي الكريم - إذا تمت؛ الناس يتربّون حدوثها، ولا يزال دخولنا في الموضوع دخولاً مباشراً، ويعتبر جديداً؛ لهذا يصعب القطع بهذه المسألة، وإن فالطموحات كبيرة والأعمال كبيرة، وأملنا بالله - جل وعلا -، وهذا ما نسعى إليه، وقد تمخض عن المؤتمر نتائج عملية، أنا حريص في الحقيقة على هذا، وهذا الذي نسعى إليه. ما زلنا في الانطباعات عن الأردن فقد وجدتم فيها حضوراً كبيراً لللاجئين، والعدد في تزايد، ولعل الإغاثة لم تكن على قدر ما يراد، فما الذي تريدونه في هذا السياق؟ وهل من تنسيق بين جهات الإغاثة كلها؟

أنا أرى الأردن في الحقيقة قد فتحت باباً أولاً لللاجئين، وفتحت أيضاً باباً لاستقبال التبرعات من قبل الجمعيات الخيرية بطريقة منتظمة جيدة، فأرى أن التقصير يأتي بالذات من دول الخليج، دول الخليج عليها مسؤولية أن ترتب نوعاً من الإغاثة بينها وبين شعوبها وبين اللاجئين عبر تعاون الحكومتين، ومع ذلك فأرى أيضاً أن المواطنين وشعوب الخليج مبادرتهم فردية، الحقيقة أقول الفردية، لأنها لم تصل إلى مستوى أن تكون إغاثة شاملة؛ لأن قضية اللاجئين ليست مجرد أكل وشرب فقط، فالامر يحتاج إلى إيواء بديل متكامل يرفع هذه المسؤلية عن كاهل أهلهم الذين يقاتلون ويدافعون في الداخل، وعلى الشعوب نفسها أن تبادر بشكل أقوى عبر جمعياتها الموجودة وعبر أفرادها وبالذات الأغنياء، فما الذي يمنع الغني أن يأتي ويقدم مساعداته؟! أليس التجار هناك والأثرياء يأتون مثلاً إلى الأردن أو إلى لبنان وفيها عدد أيضاً من اللاجئين أو إلى تركيا وفيها عدد كبير من اللاجئين، يأتون للسياحة؟! ما الذي يمنع الإنسان أن يأتي للسياحة ويقدم ما لديه من المساعدات عبر الجمعيات؟

وأريد أن أنبه إلى ملاحظة مهمة، وهي أن المساعدة الفردية أحياناً تحدث خللاً وتنافساً، وربما إعطاء المال لغير أهله، وهذا وجدناه في الأردن يأتي أناس فيهم خير وصلاح وغيره يشاهدون هذه المأساة فماذا يفعلون؟ يذهبون مباشرة إلى اللاجئين ويدّعون بإعطائهم أموالاً نقدية مباشرة، هذا له تأثير سلبي لو كان المال المساعد لهذه الأسر مالاً رمزاً فلا حرج في ذلك؛ لأن له اعتبارات معنوية جميلة جداً، لكن أن يكون أموالاً كثيرة فيجب أن تقدم للجمعيات، لأنها أدرى - وأقصد الجمعيات الموثوقة المعروفة - بمن يستحق المساعدة، وبهذا لا أزال أطالب وأدعوا بل أدعوا كل أدعو حكومات الخليج بصفة خاصة والشعوب في منطقة الخليج إلى أن يعيدوا ترتيب الأولويات و يقدموا المساعدات بشكل جيد لإخوانهم في الداخل السوري أيضاً.

الآن لكم تلمحون إلى أن الجهد إما حكومي وإما شعبي، يعني ما يسمى بالقطاع الثالث، وما يغزو العالم حالياً ما يسمى بمؤسسات أو منظمات المجتمع المدني مع ما يحفظ على هذا المصطلح، أو ما يسمى بالأهلي هل ترون أن الأمر يحتاج إلى تفعيل مثل هذه المنظمات والمؤسسات في الخليج العربي؟

أولاً: أنا أريد أصح، قلت أنت: المجتمع المدني مع التحفظ، أنا لا أتحفظ على اسم المجتمع المدني، ودائماً أطرحه في لقاءات ومحاضرات وأقصد المجتمع المدني هو مجتمع النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، فنحن سبقنا المجتمع الغربي، بل يجب أن نقول لأولئك المجتمع الغربي النظام الاجتماعي الغربي، أما بالنسبة للمجتمع المدني فهو مجتمع النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما أقام دولته فكان فيه كل العناصر، ومن أقوى ما يمثل على هذا ما ذكره الله - جل وعلا - في سورة الحشر: {وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9].

فإذن سماه الله حباً، لاحظ لم يقل: الذين يرحبون بإخوانهم أو يكرمون إخوانهم.. قال يحبون، وأنت تعلم أنه إذا وجد الحب تفرع عنه أشياء كثيرة من الإيواء والإكرام والبذل والعطاء وغيره، فهذا التعبير الدقيق "يحبون"، انظر إلى رجل يحب مثلاً زوجته أو أولاده كيف يكون بذلك وعطاؤه، لهذا الأمر فإن المجتمع المدني هو مجتمع محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأفقيس الواقع إلى ثلاثة أقسام: حكومات، جمعيات خيرية، وأفراد.. ويجب أن تتضامن الجهود بين كل المجموعات الثلاث، ولكن لو قصر جانب عن الآخر ألا يقصير، فلذلك على الحكومات أن تقوم بواجبها، إذا لم تقم، على الجمعيات أن تقوم بواجبها، لو قصرت بعض الجمعيات على الشعوب أن تقوم بواجبها.

نعم هناك سؤال في جملة اعترافية خارج سياق المؤتمر كأني شعرت أنكم لا تفضلون حين يُسرق المصطلح أن يُترك لمن سرقوه **كالمجتمع المدني أو ما شابه.. تفضلون المزايدة وإعادة التكييف الشرعي له؟**

نعم؛ لأنهم الذين أخذوا هذا المصطلح أصلاً، وأصبح مع كل أسف علماً عليهم، وهذا غير صحيح، يعني مثلاً عندما أعطيك مثلاً لما يقولون الكليات العلمية والكليات النظرية، ويقصدون بالكليات النظرية الكليات الشرعية، وهذا غير صحيح؛ فالكليات العلمية، العلم الصحيح هو العلم الشرعي "ما العلم إلا ما قال الله و قال رسوله" قد تقول: ماذا تقول عن كليات الطب وغيرها؟ أقول كليات تجريبية؛ لأن ما كانوا يقولونه قبل سنوات في الطب إذا هو قد تغير؛ فهم يجربون، وهذا طبيعي، تطور التجربة البشرية، فالصحيح والأدق هي الكليات التجريبية؛ لأنها تجرب وتطور شيئاً فشيئاً بما كان في الهندسة أو في الطب أو في العلوم قبل خمسين سنة أو ثلاثين سنة غير اليوم وهذا طبيعي، أما العلم فهو الراسخ، ما العلم إلا قال الله و قال رسوله، والله - سبحانه وتعالى - سمي هذا: {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ} [آل عمران: 18]، وقال - سبحانه - : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ} [فاطر: 28]، وهذا. فأرى أنه بالعكس إذا سطوا على بعض مصطلحاتنا أن نعيid الشيء إلى أهله بقوة وبرهان وبدليل.

الثورة السورية هل تتوقعون لها نجاحاً شاملأً، أم أن التصور الواقعي أنه سيكون هناك نوع بين المواجهة بين النظام السابق والنظام القادر، يعني هناك مواجهات حدثت في أكثر من دولة شهدت ثورات عربية لا يكون فيها التغيير جذرياً. فهل تتوقعون **ألا يكون التغيير جذرياً كذلك؟!**

هو سر طول الثورة السورية الآن والتصعيدات الضخمة أنها تختلف تماماً شكلاً و موضوعاً عن أي ثورة أخرى، الثورات الأخرى - يا أخي الكريم - كان فيها حكام من ذوات الشعوب، ومن بني جلدتهم، ولكنهم انحرفوا فظلموا وطغوا كما حدث في تونس أو في مصر أو في ليبيا قطعاً، فجاء الأمر لإبعاد هؤلاء فقط الأفراد وانتهى الأمر.. أما سوريا فهذه طائفة تحكم البلد طائفة غريبة، غريبة حتى على الشام ولم تكن أصلاً من الشام وحكمت البلد منذ قرابة خمسين سنة، كما تعلمون، حكماً غريباً طائفياً أقصت الجميع الذين يشكلون قرابة ربما 90% أو قريب من هذا الرقم، وحكمت في البلد، وتمكنـت عبر مخالبها بخلاف الأنظمة الأخرى. كما قلت، ربما أفراد بمعنى أن الجيش مثلاً في ليبيا بقي هو الجيش، الجيش في مصر وفي تونس هو الجيش كل ما في الأمر تغير رأس النظام والهرم، بل وجدنا أن الجيوش في تلك الدول في تونس مثلاً وفي مصر أقرب إلى الشعب منها إلى الحكام السابقين، ولكن تعرف أنظمة الحكم ما يحدث فيها، بخلاف أنظمة العسكر هنا في سوريا.

الحقيقة أن النظام بكل مخالفه ومؤسساته، خذ مثلاً كما رأيت وسمعت في المؤتمر من يقول: إن المسؤولين في دار الإفتاء التي هي السنية من النصيريين ليس فقط من البعثيين بل من النصيريين. إذن، اقلاع هذا النظام الذي تجذر خلال خمسين سنة أو لا يحتاج إلى قوة، ثانياً أنه أيضاً لا بد أن يكون التغيير شاملًا، لا بد أن يكون التغيير هنا عندما يتغير هذا النظام. وأقول لك - يا أخي الكريم - أنه حتى لو ذهب هذا النظام، أنا أقول: إن أي نظام يجيء بعد ذلك إن لم يكن نصرياً فهو مكسب لسوريا؛ لأنه سيكون من باب رفع الظلم، ورفع هذه المظلمة التي كادت أن تحول سوريا خلال سنوات إلى شعب باطني عبر أموال إيران، فلا شك هنا أن التضحيات أكثر، وأتوقع أن المعركة ستطول، وقناعتي أنه لا رجوع للجميع عما من أجله بدؤوا الثورة؛ لأن الرجوع يعني الموت، وإخواننا في الشام يعون هذا الحقيقة، ويدركون أنه سيترغب الرجل لهم ويصففهم تصفية حقيقة، وعندنا دليل على ذلك أنه قبل ثلاثين سنة عندما حدث ما حدث في حماة وغيرها، وكان لي وجهة نظر قبل ثلاثين سنة فيما حدث أن تصعيد الموقف لم يكن مناسباً، وهذا الأمر قلته علانية ليس الآن أقوله، لكن أسجله هنا، ومع أن الحركة كانت لم تطل مثل هذه المدة، ولم تكن تأخذ شكل الحركة الشعبية، انظر ماذا فعل حافظ الأسد ودمر ما دمر من المدن والقتلى والسجون التي إلى الآن لا يزال بعض من شاهد الأحداث في السجون، فما بالك وقد قام الشعب الآن، فلو أن بشار تمكّن نظامه ومن معه سيعمل تصفية كاملة، وسيكون أسوأ؛ فإذاً ما دام الموت حادثاً فليكن بشرف وبعز وليس بذلك.

هنا المسألة تحتاج إلى صبر، أما النجاح فلا شك نحن متفائلون - يا أخي الكريم -، متفائلون بصدق وعد الله - جل وعلا -: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: 227]، ولكن الله - سبحانه وتعالى - عليم حكيم، فأولاً: هناك خلل في وجود التنازع أحياناً والاختلاف هو ما يؤخر النصر؛ {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِحْكُمْ} [الأنفال: 46]، وهنا {وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103] كما قال الله - جل وعلا -، فوجود شيء من التنازع قد يؤخر النصر.

ثانياً: يا أخي الكريم، خُدع العالم وبالذات العالمي بإيران هذا الشيطان الأكبر وبـ"حزب الله"، وبعد وجود البيانات من العلماء في أماكن كثيرة، كثير من الناس لم يقتنع بهذا فتائي الأحداث من أجل أن تكشف من هي إيران، ومن هو "حزب الله"، ومن هم النصيريون أكثر مما تكشفه، بل يمكن أن يقارن بما تكشفه البيانات، خذ مثلاً: أمريكا!! كم خُدع فيها من أبناء المسلمين، فبعض أبنائنا إذا درس في الغرب وحصل أن رُزق بمولود يحصل على البطاقة الزرقاء أو الخضراء يفرح فرحاً شديداً أنه أصبح له أي ارتباط بأمريكا، فتضخت في قلوب الناس فجاءت أحداث ومن أبرزها أحداث العراق وأحداث إيران لتكشف من هي أمريكا وأحداث أفغانستان أيضاً، وما يحدث في أفغانستان من دمار، وغيرها من البلدان الذي يحدث أو حدث في أفغانستان وفي العراق وفيما يسمى بالحرب على الإرهاب أدى إلى كشف حقائق ضخمة جداً لا يمكن أن تكشف أمريكا كما كان يقول شيخنا الشيخ سفر: "مهما فعل خصوم أمريكا بأمريكا لن يفعلوا فيها كما فعلت هي بنفسها". هو الآن الذي يحدث تفعله إيران الآن والمالي في العراق ونصر الله مع بشار لا يمكن أن يحدث أو يفعله آخرون مهما كانت قوتهم كما يفعلون هم بأنفسهم الآن لفضحهم وليتآخر المشروع الإيراني سنوات - بإذن الله -.

مع تفاؤلكم، لكن كثيرين الآن ربما يتسلل إليهم شيء من اليأس والإحباط من تكالب الأعداء على الثورة السورية، وأنه قد تبدي أن الولايات المتحدة ضدها وأن "إسرائيل" ضدها وأن بعض الدول العربية ضدها، وبالإضافة إلى إيران بالتأكيد وال العراق ولبنان وروسيا والصين.. الخ.. هل إلى جانب هذا التفاؤل تدعون إلى شيء من التضاد الدولي لمساندة الشعب السوري ما يتجاوز مسألة الإغاثة؟

أما أنا لا أدعو إطلاقاً إلى مساندة دولية، ولا أعمل في هذه الدول خيراً، هذه الدول أصلاً - يا أخي الكريم - لا تنتظر صوتنا حتى تساند أو لا تساند، هذه الدول تحسب مصالح معينة، وكما تدخلت كما تعلمون بقية تترفج في ليبيا حتى رأت أن الكفة بدأت تميل ضد القذافي، ورأي أن القذافي لم يعد حاكماً مقبولاً فبدأت تحسب مصالحها من جديد فجاء القرار فهو لاء دائمأ نقول: {وَكَذَلِكَ نُولَّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: 129].

وأنت تعرف منذ حرب سبتمبر أو قبلها - عفوأ أيام الكويت. موقفنا من أي تدخل أجنبي في شؤون بلاد المسلمين، وأنا أقول البلاد الإسلامية يشعوبها المؤمنة قادرة على صد أي عدوان إذا نظمت صفوفها وصدق مع الله - جل وعلا -، وهؤلاء الأعداء مهما جاؤوا لنصرتنا فهم سيقبحون ثمناً باهظاً كما هو واضح بعد حرب الخليج كما يحدث أيضاً وكما هو الآن، فلهذا أنا أقول: إنما أفسر ما يحدث هو قدر كوني نفسره بقوله - تعالى - : {وَكَذَلِكَ نُولَيْ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: 129]، إن تدخل الغرب مثلاً كما تدخل في ليبيا فهو تسلط ظالم على ظالم وهو من باب قوله - تعالى - وهو قدر كوني: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة: 251]، وفي آية كما تعلمون الحج: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ} [الحج: 40]، آيات، هذا قدر كوني.

أما نحن في رابطة علماء المسلمين أو العلماء في المملكة، فنحن لا نرى أي تدخل دولي في شؤون المسلمين، وأن هؤلاء وإن أعطوا ثمرة عاجلة فسيكون لذلك ثمن آجل يأتون بعقيدة أثبت من العقيدة التي نحاربها، فمثلاً التغريب - يا أخي الكريم - أخطر من الباطنية، يعني - مثلاً - قد يدخل التشيع في بلد من البلد أو يحاول الشيعة ولا يؤمنون كما يؤثر الغرب في قلب مفاهيمهم، ولهذا أنا ضد هذا أولاً، ثانياً: يجب أن تتعلق القلوب بالله - جل وعلا -، وهذا من أسباب تأخر النصر، أن الناس ترتبط بالبشر وتبث عن البشر والقوى العظمى وغيرها، وهنا يخذلون أو يتأخر النصر، وإذا انقطعت قلوبهم إلا بالله - جل وعلا - هنا يأتي النصر: {قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِيْنِ * فَأَوْهَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ} [الشعراء: 62-63]، فيجب أن تكون هذه قضية واضحة مسلمة، وإذا تدخل الغرب من نفسه فأصلاً هو لم يشاورنا، هل يتدخل أو لا يتدخل، ولا نرحب به في الحقيقة وندعه وشأنه؛ لأنه ظالم مع ظالم في هذه الحالة، أما أن يكون لنا استقبال أو غيره فلا أرى ذلك.

أما اليأس الذي أشرت إليه - يا أخي الكريم -، فالطبع البشري هذا موجود على مدار التاريخ، كما بين - سبحانه وتعالى - في سورة الأحزاب: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ * هُنَالِكَ أَبْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَلُزُلِّنُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: 10، 11]، إذا كان الذين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ابتلوا فما بالك بالمساكين الذين أبعد عن الوحي وعن هدي النبوة أن يحدث لهم هذا الابتلاء فهو كتفسير بشري طبيعي، لكن انظر في سورة الأحزاب بعد ذلك قال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21]، أي مع كل هذه الأوضاع كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يضرب الصخرة ويبشر بفتح فارس، ويضرب الصخرة ويبشر بفتح الروم، أي بسقوط أكبر مملكتين في ذلك الوقت، مع هذه الظروف فنحن كذلك يجب أن نبشر الناس وأن نقول أصبروا وصابروا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 200]، نعم أنا متفائل بالنصر عاجلاً أو آجلاً، وجود كر وفر لهذا حدث على مدار التاريخ ومع الأنبياء وحتى وقت النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا أمر طبيعي، لكن يجب أن نصبر ونتحمل ونعيid الصدوف مرة أخرى وأنا واثق من النصر؛ لأن المعركة في الشام لا بد بكلمة واحدة - أقول لك يا أخي الكريم -: إما أن تكون أو لا تكون.

تذكرون في البوسنة والهرسك عندما كان المسلمون مجردين من السلاح تماماً، وحدثت مجازر لم يتدخل الغرب، وعندما نما جيشهم بدأ في التدخل، وعندما بدأوا في الانتصار حدثت اتفاقية دايتو، هل تذذرون من اتفاقية دايتو جديدة في سوريا إذا ما انتصر الجيش الحر أو بدأ أنه سينتصر؟

هو قطعاً الغرب الآن إذا وجد أن مصلحته في تغيير نظام بشار الذي يبدو أنه قد انتهت صلاحيته، فإنه يفعل، وهو بدأ يميل الآن بعيداً عنه؛ لأنه باعتراف قرابة ثلاثة وثمانين دولة في المجلس الوطني أن الغرب بدأ يعيid حساباته، ووجدنا أن أمريكا الآن تغيرت لهجتها بما كانت عليه في السابق، الغرب لا يمكن حقيقة أن تمر عليه الأحداث من خلال التجارب مع كل أسف إلا إذا وجدت مصيبة كما ورد في حديث عمرو بن العاص: "هم أسرع الناس إفادة بعد مصيبة"؛ لما تقع حادثة لا يعلمون

عنها يبادرون باستثمارها، فهذا مع كل أسف ما حدث حتى في تونس، ويحاولون في مصر الآن وفي ليبيا وفي غيرها، يعني أنا لست مع نظرية المؤامرة ولا ضدّها يجب الاعتدال في نظرية المؤامرة، فالمؤامرات موجودة: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} [القصص: 20]، فالمؤامرة موجودة على مدار التاريخ، والذي ينكر المؤامرة ينكر الحقائق، لكن أيضاً تعليق كل شيء أنه مؤامرة حتى نبر لأنفسنا العجز والتساهل وعدم الأخذ بالأسباب هو المصيبة الواقعة الآن، فالغرب أحياناً يتآمر، وأحياناً قد تأتي مفاجأة كما حدث في أحداث تونس هذارأيي، وهذا ما عبر عنه تقرير السفير الأميركي في تونس.

فهم يلتلون على الحدث بسرعة، ويحاولون أن يستثمروه، فهم الآن يعيدون الصياغة مرة أخرى ليعاولوا؛ فما دام هذا النظام قد انتهى ولِيُنظَّم؛ فالواجب أن يكون بديلاً قريباً من الغرب؛ خوفاً على "إسرائيل"، لأن محور المعركة هي "إسرائيل"، الآن حتى "إسرائيل" كانت في البداية تحاول أن تقوى نظامها بالأسد؛ لأنّه هو الذي سيخدمها لأنّه فعلاً يخدمها، لكن وجدت ربما أن الظروف لا تجيز استمرار ذلك، فهي تعيد حساباتها بنظام بديل يخدمها في المنطقة، وأنت تعلم أنها خدمت في المنطقة من أنظمة كثيرة؛ فنظام مبارك في مصر كما تعلم خدمها، وحسني مبارك لم يكن نصيراً، ومع ذلك كيف خدم؟ لا تقل خدمته لليهود عن خدمة النصيريّين وغيره من البلاد بدون تسمية، فإنّه هي تعرف أنه يمكن أن يخدمها من العلمانيين والمنافقين ومن الشعوبين من أكثر ما يخدمها حتى بعض الطائفيين الذين ربما يسبّبون مشكلات لها لمصالح دنيا والتنافس على الدنيا.

عودة إلى رابطة علماء المسلمين وهي بعد مؤتمرها، هل تتوقعون أو تنتظرون دوراً سياسياً في مساندة الثورة السورية أكبر من مجرد الدعم المعنوي، بمعنى هل سيتم مخاطبة بعض الجهات الرسمية؟

نعم ننتظر كل شيء، أنا أرى أن الإسلام فتح السبل والوسائل للنّصرة، قال - تعالى - : {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ}، لاحظ ماذا قال؟ ما قال: من قوة من رباط الخيل، قال: {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: من الآية 60]، و(الواو) تقتضي التغيير، التعقيب والتغيير، إذن فما دامت كذلك، فالباب مفتوح لأي قوة، قوة سياسية، قوة مالية، قوة معنوية، لاحظ أن القوة الله - تعالى - نص عليها مع أن من القوة رباط الخيل، فالأصل في القوة هي القوة العسكرية لكن تحتاج إلى دعم فقدمه؛ لأن الناس لا ينظرون له بقوة؛ بعضهم يقول لا تهتم بالقوة السياسية، لا تشغّل بالك بقضايا اللاجئين أنت عليك الآن بالسلاح! من قال لك: إن اليد التي تحمل السلاح من أجل أن تقاوم مثلاً النظام النصيري إن لم يكن صاحبها مكفولاً في ماله وأهله لا يستطيع أن يقاتل، فهي قطعة حديد في يده، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من خلف غازياً بأهله بخير فقد غزا)) والحديث في الصحيحين، أي أ منه. طمئن الغازي هذا في أهله يريك من القوة ما لا تتّصور، إذن المجال مفتوح على كل شيء، نحن لا نريد أن ندعى في رابطة علماء المسلمين أننا نستطيع أن نفعل كل شيء، لكن كل الخيارات الشرعية مفتوحة، والقوة السياسية في الحقيقة من أقوى المؤثرات في التاريخ، وفعلاً النبي - صلى الله عليه وسلم - في مراحل عدّة عبر وسائل سواء في تحالفات في وثائق في معااهدات وفي رسائل يستخدمها النبي - صلى الله عليه وسلم -، عبر ضغوط أو تخويف إلى غير ذلك من الأساليب الفاعلة، لكن يبقى الجهد هو الحاسم في النهاية في المعركة.

هل ستقومون أو ستدعون إلى جولات دعوية بين اللاجئين لمحاولة تثقيفهم وتوعيتهم؟

هذا يرجع لما نتج عن المؤتمر من توصيات، فقد طرحت قضايا كثيرة في المؤتمر، وكثير من الأفكار المطروحة تم مناقشتها، وبخصوص دعوة اللاجئين سواء نوقشت في المؤتمر أو ناقشتها الرابطة في اجتماعاتها، أن تقوم بزيارات وإيفاد ووفود فقد سبق لنا شيء من ذلك كما تعلمون في قضية الصومال، بباب الحوار مفتوح لدينا - والحمد لله -، ونحن مؤمنون كما قلت بكل وسيلة ناجحة، لسنا متزمتين على وسيلة واحدة فقط، بل هي وسائل متعددة كلها ما دامت تصب في خدمة هذا الدين والدفاع عنه والدعوة إليه؛ فالخيارات مفتوحة - بإذن الله - بحكمة وبعد نظر.

والرابطة حقيقة هي مصدر أمان، وهي كما قلت في كلمتي في المؤتمر هي تسعى للاستقرار وتسعى لاستقرار الشعوب واستقرار الأمن، فليس من مصلحة الأمة أن تستمر الاضطرابات في البلاد الإسلامية، حقيقة هذا يعرقل الإسلام، والنتيجة كما ترى مثلاً في عدد من الدول التي لا تزال قلقة كما يحدث في اليمن أو في الصومال أو في غيرها، هذا الأمر - أخي الكريم - يجعلنا لا نستطيع أن نقدم شيئاً حتى لا أنت لا تستطيع أن تتقدم في المشاريع الخيرية، ولا في المشاريع الدعوية، فلا بد من الاستقرار النفسي.

إذن رابطة علماء المسلمين رابطة علمية دعوية تربوية؛ تساهم في استقرار الأمة، وتحقيق الأمن الذاتي لها بالمفهوم الشامل، ليس الأمن العسكري الذي يفهمه العسكريون فقط، بل هو أمن شامل أمن القلوب، أمن العقيدة أمن التربية، أمن المعيشة إلى غير ذلك من الأمان؛ {إِلَيْلَافِ قُرْبَشِ} * إِلَيْلَافِ قُرْبَشِ رِحْلَةُ الشِّنَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلَيَعْبُدُوا رَبَّهَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خُوفٍ} [قرיש: 1-4]، فربط الرزق بالأمن، ولذلك في القرآن كله رابط وثيق بين الأمان ورغد العيش وبين الخوف والجوع، رابط وثيق في كل القرآن من أوله إلى آخره؛ قلَّ أَنْ تجِدْ آيَةً تتعلق بالأمن إِلَّا فيها يتعلَّق بِرَغْدِ الْعِيشِ، وآيَةً تتعلق بالجوع إِلَّا فيها جانب الخوف، وهذا طبع بشرى نشاهد في أنفسنا، ولهذا الرابطة تسعى للاستقرار؛ لأنَّ أيَّضاً مع الاستقرار الأمني والاجتماعي تتقبل الناس ويتعايشون في تبليغ دعوة الله - جل وعلا -، ويقومون بالدعوة والنشاط والتبلیغ وغير ذلك، إِذَا فُقدَ الْأَمَنُ لَا يُسْتَطِعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُؤْدِي رِسَالَةَ اللَّهِ.

إذن هل تعتقدون أننا بحاجة إلى ثورة أخلاقية في سائر البلاد؟

أنا لا أسميها ثورة، أحب أسمى مصطلحاتي شرعية، وهي دعوة أخلاقية؛ لأنَّ الثورة - يا أخي الكريم - لها مستلزمات، وأيضاً ارتبطت برواسب قد يكون المصطلح أحياناً في أصله صحيحاً، ولكن لأنَّه دخل عليه عامل، فمن المصلحة أن يغير: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَأَيْنَا وَقُولُوا انْظُرُنَا} [البقرة: 104]، فكلمة رأينا في الأصل لا شيء فيها، ولكن لسوء استخدام اليهود لها - كما تعلمون - جاء أمر الله - سبحانه وتعالى - بعدم استخدامها لا لسوء في ذاتها، ولكن لسوء في استعمالها؛ فلذلك أنا لا أحب كلمة الثورة، حقيقة حتى في موضوع سوريا أو غيرها أو الثورات العربية إلا اضطراراً، لا يعني أنني لا أستخدمها أحياناً حتى توصل المعلومة لا بد أن تكون ما استقر عليه الناس، فعلى كل حال أنا أقول نحن ندعو إلى التربية الأخلاقية، وإلى إعادة الناس كما قال الله - سبحانه وتعالى - : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أَحْمَدُ : ((إِنَّمَا بَعَثْتَ لِأَتْمِمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))؛ لأنَّ الْأَخْلَاقَ - يا أخي الكريم - ليست فقط في فهم الناس لقضايا المعاملات اليسيرة، وإنما الْأَخْلَاقُ في الدِّينِ في المعاملة في التعامل في السياسة، فالأَخْلَاقُ منظومة متكاملة.

كنت أتحدث عن أخلاقيات الاستبداد أو طبائع الاستبداد كما يقولون وأنها ر بما أثرت في الشعوب، وقد نرى مثلاً في مصر الآن أن داخل الشباب المتدلين الطيب قد تأثر بأشياء من هذا القبيل، فأصبح لديه نوع من التعصب، وهو يمارس السياسة يتعصب لمرشح ما أو حزب ما فما توجيهكم لهم إذ ربما تجاوزوا الحدود الشرعية؟

هذه حقيقة نقطة مهمة جداً أنت الآن فتحت موضوعاً آخر، الشعوب إذا حُكمت بغير حكم الله - جل وعلا - دخلت على نفوسها وقلوبها مؤثرات يصعب أن تتنفس عنها، خذ مثلاً من أكثر ما في القرآن ذكر موسى - عليه السلام - في حيز مما ركز عليه القرآن أنه الاستبداد الذي حصل على بني إسرائيل، المشكلة أنه غير في تركيبتهم، في طبيعتهم، في تفكيرهم حتى بعد أن حررهم الله - جل وعلا - من فرعون، وقادهم موسى بقيت رواسب الاستعباد التي فعلها فرعون لم يتخلصوا منها نجد أول شيء بعد إغراق فرعون؛ {إِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا أَلْهُمْ أَلْهُهُ} [الأعراف: 138]، بدل أن يكونوا أكثر التصاقاً بالتوحيد فإذا هم يبادرون بهذا الأمر يفاجئون موسى بهذا الأمر، ولذا كان رد موسى عظيماً جداً على هذه الدعوة التي هي غير متوقعة، تصور أن من السبعين رجالاً الذين أخلصهم موسى اللقاء ربه لقوا الله - جل وعلا -، وهم الصفوة هؤلاء الخُلُصُ من بني إسرائيل سبعين فقط؛ لما جاء التيه - طبعاً قد نقول مات بعضهم الثنين ثلاثة خمسة لكن قطعاً بقي عدد كبير، لأنَّ التيه قليل

جداً للتجاوز - يقول موسى لهم في دعوته (يا قوم)، يعني يدعوهم للأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ومع ذلك تكون نتيجته؛ {فَإِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا} [المائدة: 24]، قال العلماء: لم يقل هذا رجلان فقط من السبعين، هؤلاء السبعون كانوا الخلاصة، السبعون يقولون هذا الكلام من أين؟ من أثر التربية والاستعباد الذي عاشوه في زمن فرعون، ما الحل؟ الحل أن ينتهي هذا الجيل كاملاً الذي تربى على الاستعباد ورضي على الاستعباد ولم يقاوم فرعون بأي مقاومة تذكر، لاحظ لم يذكر الله أن بنى إسرائيل أيام فرعون قبل موسى قاوموا فرعون إنما استسلموا له ويتأوهون ويبكون، لا بدّ ينتهي هذا الجيل أربعين سنة معروفة في التاريخ، أن تنتهي جيلاً وتأتي جيل جديد، خلال الأربعين سنة نشأ جيل جديد، ولذلك أمر الله لحكمة بقاء موسى وأخيه هارون معه ليربي هذا الجيل الجديد، فلم يأذن الله لهم، لم يأذن بالهجرة كما يهاجر الأنبياء من بلاد الكفر؛ لأنهم مؤمنون في النهاية، مسلمون لكنهم سماهم الله فاسقين: {فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: 26].

فلما توفي هارون - عليه السلام - ثم توفي موسى بعد ذلك - عليه السلام - ثم حلفوا من هو أحد الرجلين، قال ذلك الذي دعوا قومهم كما تعلم: {قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} [المائدة: من الآية 23]، هذا هم، لكن قال من قال جيلاً جديداً؛ لأن الجيل الذي قال: (إذهب أنت وربك فقاتل)، إما مات فعلاً أو أصبح كبيراً في السن لم يعد له أثر نشأ جيل جديد، ومع ذلك لاحظ حتى هذا الجيل الجديد قبل فتح بيت المقدس يقول لهم يوش بن نون: "ثلاثة لا يتبعوني؛ رجل دخل - تزوج - بامرأة - عقد عليها - ولما يدخل بها، رجل عنده غنم ينتظر ولادتها، رجل رفع بيته ولم يرفع سقفه"؛ لأنه لا يزال في قلبه تعلق بالدنيا يريد أناساً خالصاً وإن كانوا قلة في مجموعهم، فهؤلاء الذين فتح الله بهم بيت المقدس.

نعم الآن لا تزال لم تتحرر كثير من العقول، وإن تحررت من بعض الحكام الظلمة - كما تعلم - لكن بقيت روح الاستعباد فيهم ولها تأثير بلا شك، هؤلاء الآن الذين يريدون أن يقطفوا الثمرة كثير منهم هم السبب في بقاء الظلمة هؤلاء ثلاثين أربعين سنة نعم فهم أيضاً آثمون سيعاقبهم الله - جل وعلا -؛ لأنهم لم يكن لهم الدور الذي قام به أبناؤهم، الآن تلاحظ الثورات - وإن كنت أستخدم هذا المصطلح - من الذي قام بها؟ هو جيل الشباب ليس جيل الكبار.

اطلعت على رسالة جاءتني بمناسبة سوريا على لسان أحد الشباب، يقولون لآبائهم: أنت قدمت ما استطعتم في السنوات الماضية؛ دعونا مع هذا النظام يكفينا أنكم لا تعرقلونا.. حقيقة هذه الرسالة كانت مؤثرة جداً، نعم لما ذهبت إلى الأردن وجدت أن الجيل فعلاً يحارب بالجملة هم جيل الشباب وقريب من جيل الشباب، وهم الكهول؛ طبعاً كلمة الكهول الصحيح ليس كما يستخدمها الناس ليس الكبير العجوز، وإنما الكهل هو ما بين الثلاثين كما تعلم إلى الخمسين، وقريباً من ذلك هؤلاء الذين يقودون المعركة. إذن الآخرون كبار السن قد يلحقون بهم في الأخير كما حدث في مصر عندما لاحظوا في النهاية أنهم سيقطفون الثمرة أو في عدد من الدول لكن لم يكونوا هم المبادرين، بل كان ربما بعضهم يشك هل معقول أن يذهب حسني مبارك؟! هل معقول أن يذهب زين العابدين؟! هل معقول أن يذهب القذافي؟! ماتت عقولهم لماذا؟ لأنها ترسخت كما أن النفس نتيجة ترسيبات كثيرة أوصلت إلى هذه النهاية، كذلك الترسيبات أحياناً تربوية وغيرها.

أنا لا أقول هذا ثبيطاً، ولكن دراسة علمية نفسية مهمة لمعرفة التعامل مع الناس؛ ولذلك تجد التجاوب مع الشباب والتعامل مع الشباب أقوى وأسرع وأحكم، لكن مع ضبطهم؛ لأن الشباب لديهم مع كل أسف اندفاع؛ فقد يرفضون بعض الحكمة يحتاجون إلى حكمة من هو أكبر منهم، ومن هو أعلم منهم؛ حتى تتكامل الرؤية؛ لعلي استطعت أن أوضح الصورة في هذه المسألة.

نريد كلمة للشباب بتوجيهه إليهم عن مسألة التعصب؟

الحقيقة.. الشباب هم أمل الأمة، وهم الذين كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وتعاملوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بحكمة فيحتاجون مع هذه الثورة، إلى قوة إيمانية وحكمة في قلوبهم؛ لأن قلوبهم لم تتدنس بكثير مما تدنس بقلوب

من سبقهم، لكن يحتاجون إلى العلم يحتاجون إلى حكمة الكبار، وعندما أقول حكمة الكبار لا ينافي ما قلته سابقاً من التزام الحكمة وعدم الاستعجال؛ لأن الشاب - يا أخي الكريم - عنده ثلاثة نقاط مشكلة: هو عنده الاستعجال طبع بشرى، عنده عدم اكتمال الرشد؛ لأن الله يقول عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَسْدَهُ وَاسْتَوَى} [القصص: 14] الأربعين، وقال عن يوسف: {وَلَمَّا بَلَغَ أَسْدَهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف: 22]، والأنبياء يُبعثون على الأربعين، واستثنى الله إبراهيم - عليه السلام - {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} [الأنبياء: 51] استثناء، وكذلك يحيى وكذلك عيسى هؤلاء استثناء، وذلك ميزة لهم، وقلة علم.

فنقول هنا: إنهم بهذا يحتاجون ما دمت لم أعرف هذه العناصر يعرف الشاب من نفسه الاندفاع وقلة العلم؛ لأنه مهما كان سنه لم يبلغ من العلم، فالعلم يحتاج لسنوات، ولا يعني أنه ليس راشداً، لا، لكن لم يكتمل الرشد لم يستو بعد إذن، أنت لما ترى على عيني نظارة لماذا أنا لبستها؟ لقناعتي أنني بحاجة إلى نظارة، ربما أقول لك: إنني جلست سنوات بحاجة لنظارة ولم ألبسها أقول لا لعلي لم أحتج إليها حتى وجدت أنني محتاج لها، الذي معه عصا ما يأخذه إلا بعد أن يصل إلى درجة أنه مقتنع لا بدّ منه إذا افتعل الشباب إلى الاستواء واكتمال، أقول: اكتمال العقل مع عقلهم ضروري، وهذا يكون بالتجربة وغيرها بحاجة إلى التهدئة من اندفاعاتهم التي تكون، بحاجة إلى العلم يرجعوا إلى الحكماء إلى العلماء إلى أصحاب التجارب، لكننا أيضاً بحاجة إلى انطلاقتهم الحقيقة إلى ثورتهم؛ لأن الكبار أحياناً تكون حركتهم بطيئة.

فالتناغم بين الشباب وبين الجيل السابق المخلص الصادق هنا تكتمل. أقول: عليهم أن يتتصقوا بنا؛ لأن شبابنا - هداهم الله - وقعوا في إشكالات نحن في غنى عنها، مثلاً: التفجيرات التي وقعت في بعض البلدان بالذات في المملكة، ودول الخليج من أول الأمر. أقول: هو خطأ كبير جداً جر الشباب وإليه غيرهم بدون تعلم وبدون حكمة. هذا ليس جهاداً، هذا أبعد ما يكون عن الجهاد، وقد سببوا لنا مصاعب نحن لا نزال نعاني منها، مع أنني قلت في أول الأيام قبل عشر سنوات: ستندمون، هم الآن نادمون، العقلاء منهم لما كبروا الذين قبل عشر سنوات كانت أعمارهم خمسة وعشرين أو ثلاثين أصبحوا في الأربعين أدركوا الخطأ، وقبل أيام كان معي أشخاص ينافشوني قالوا: نعم أدركنا الخطأ، لم نكن ندركه، لما جاءتنا التهم لا بهمني هذا، يهمني قناعاتي إذن.

وقلت مراراً: إنني سئلت مراراً كيف نجوتكم أنت من الفتن، أنت الآن أعمارنا بلغت الستين مرتنا بمرحلة الشباب ومررتنا بفتن في بلادنا وبلاد المسلمين كيف نجينا منها وهي فتن عظيمة؟ قلت: نجينا منها لا شك بتوفيق الله - جل وعلا - وفضله ولا شك في هذا، ثم أخذنا بالأسباب؛ منها: أنتا كنا نرجع للعلماء، ثانياً: أيضاً نأخذ بأقوال العلماء إلا إذا وجدنا دليلاً صحيحاً، والدليل إذا وجد العلماء هم المعتبر فيه، فهذا نفعنا الله به فكنا نرجع إلى علمائنا ومشايخنا ثم لا نعصيهم. هناك من يرجع للعلماء لكن يعصي العلماء، سيقول: رجعت ما فعلت شيئاً إلا إذا كان الدليل واضحاً، فالحكم هنا للدليل - يا أخي الكريم - حتى لا نتعصب لأفراد والمسألة واضحة، ولها كنت أقول للشباب منذ بدؤوا التفجيرات في المملكة قلت: أئتوني بثلاثة فقط علماء من علماء الأمة المعتبرين وليس فقط من علماء الخليج يؤيدونكم، وأنتا معكم لكن بشرط من علماء الأمة المعتبرين، ما تأتيني بطلاب علم وأنتا مستعد أن آتيك بثلاثين أو أكثر من علماء الأمة المعتبرين يخالفونك في هذا المنهج. إذن؛ هل يمكن عقلاً ومنطقاً أن يكون ما يستطيع أن يأتيني بثلاثة من علماء الأمة المعتبرين يوافقون على المنهج، وأنتا معي ثلاثين أو ثلاثمائة!! أسمح لي أقول: أكون مخطئاً إذا خالفت منهجي وعلقي ومنطقي، الشباب الذين عرفوا هذه المعادلة استطاعوا أن ينجوا، فلا بدّ من تناغم بين قوة الشباب وحماس الشباب وفورة الشباب، وبين علم الشيوخ وحكمة الشيوخ وبعد النظر وعدم الاستعجال. والله أعلم.

لكن لعل المشكلة في مصر وغيرها أن الأحداث متلاحقة وسريعة، وهناك فتن كثيرة، ولعلهم لا يجدون كثيراً من شدة الالتباس من يمتلك رأياً قوياً مؤسساً لاسيما في القضايا السياسية المضطربة، فبماذا تتصحون في حالتها حتى وجود هذا الانضطراب؟

حقيقة زرت بعض البلاد الإسلامية - ولن أسمى -، وفوجئت ببلاد فيها علماء وفيها شباب، لا أقول فقط لاحظت عدم الرجوع للعلماء، أسمح لي إذا قلت لك وجدت فيها عدم الأدب مع العلماء، أنا من الممكن أن أخالف عالماً مثلاً بمخالفة شرعية، إما أن تكون مسألة اجتهاد أو معي دليل، لكن لا أخالف الأدب معه، ولذلك الصحابة ومن بعدهم يقولون: تعلموا الأخلاق والأدب قبل العلم؛ لأن العلم بدون أخلاق ليس علمًا في الحقيقة، لأنه خالف العلم نفسه، إذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعث ليتم مكارم الأخلاق.

فأقول: نعم أعرف بعض الشباب عندهم علماء، ولكن ربما العلماء يقصرون، وهذا لا يفهم أنني أ婢 للعلماء، بل أنا أقول وأضيف هذا السؤال كما قلت كلمة توجهها للشباب كلمة أوجهها للعلماء أن يفتحوا صدورهم للناس، أن يفتحوا صدورهم لهؤلاء الشباب، قد يجدون بعض الأخطاء بعض الاندفاعات بعض الإساءات - اسمح لي -، النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم))، فأقول للعلماء: عليكم أن تفتحوا قلوبكم للناس مع الوقت الذي أطالب الشباب بالرفق بمشياخهم وأيضاً عدم الإساءة إليهم، والتعامل معهم بحكمة، أطالب العلماء بفتح صدورهم واللقاء مع الشباب، والنظر ماذا يريدون واستيعاب بعض التجاوزات التي تحدث منهم هنا تكامل.

ومتى حدث انتقامات في أي بلد من البلاد بين العلماء وبين الشباب هنا تحدث الكوارث، ولذلك أدرك الأعداء هذا الأمر فاستطاعوا أن يأخذوا مجموعة من الشباب ويربونهم بمعزل عن علمائهم وتغسل أدمنتهم ثم يوجهونهم كما يشاؤون؛ هنا حدث الخلل، أما إذا كان هناك الارتباط بين العلماء وبين الشباب، العلماء يقومون بدورهم ويتحملون ويفتحون قلوبهم وبيوتهم في الحدود التي يستطيعونها أيضاً، ويرفقون بالشباب و يجعلون حياتهم معهم؛ لأنهم أمل الأمة وأمل المستقبل، فبها تكامل الصورة، ونعم أمامنا فتن لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - تركنا على البيضاء نعم القرآن واضح؛ **{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ}** [الزخرف: 43].

المعركة - يا أخي الكريم. قلتها في قناة الجزيرة، وفي كل مكان، وأقولها اليوم المعركة معركة منهج، معركة المنهج تقتضي أن هناك خللاً في فهم المنهج وفي تطبيق المنهج، فبمقدار الاستمساك بالمنهج الصحيح هنا يتحقق - بإذن الله - النجاة من الفتنة، والنجاة على نوعين: نجاة للمجتمع للأمة، هذه نجاة مجتمعية أو أمة، ونجاة فردية، بمعنى أنك إذا لم تجد كما في حديث حذيفة هذا لم يجد الإنسان في الأمة كلها أو في المجتمع، وهذا والحمد لله موجود، لكن أقول إذا لم يحدث فعلى الإنسان بخاصة نفسه ليسلم، ونحن لم نصل لهذه المرحلة، والحمد لله.

فعلى المجتمع أن يتضامن لمواجهة الفتن لمواجهة الابتلاءات لمواجهة المحن، وبإذن الله ستجد النصر والفال، تفاؤلي حقيقة - يا أخي الكريم - لا يقف عند حد؛ تفاؤلي يزداد يوماً بعد يوم، بل إن قلت: إن الأدلة التي يستخدمها اليائسون والمتشائمون هي أدلتني على النصر؛ **{هَتَّى إِذَا اسْتَيَّأْسَ الرُّسُلُ وَظَلُّوْنَا أَنَّهُمْ قَدْ كُنُّبُوا جَاءُهُمْ نَصْرُنَا}** [يوسف: 110]، إذن هي أدلتكم التي أوصلتهم هي الدليل من القرآن، ويعقوب يقول لأبنائه في أصعب مرحلة مر بها: **{يَا بَنَيَ اذْهَبُو فَتَحَسَّسُو مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأسُو مِنْ رَوْحِ اللَّهِ}** [يوسف: 87]، نعم نفس الدليل في سورة: **{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَأَظْلَلُوْنَا بِاللَّهِ الظُّلُّونَا}** [الأحزاب: 10]، كل الأدلة هي نفسها: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأَ حَسَنَةً}** [الأحزاب: 21]، موسى - عليه السلام - ما قال لما رأوا العدو من أمامهم والبحر من خلفهم ما قال موسى: لا، ليس صحيحاً هذا الكلام، بل هو فعل العدو من خلفهم والبحر من أمامهم: **{قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَّهَدِينَ}** [الشعراء: 62]. فهذا المنطق الأعلى، فإذا كان انطلاقكم سطحي نعم، أفقى، فأنا رأسي، انطلاق رأسي إلى الله - جل وعلا -، وهنا يكون باب التفاؤل؛ لأنه كلما اشتدت الأزمة كان قرب الفرج، لذلك فعلينا أن ثبت التفاؤل، ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يوصي ((بشرأ ولا تنفرا)), أو ((بشرأ ولا تنفرا، إنما بعثتم ميسرين)), فبها نستطيع أن نحافظ على الأمة.

ومن أهداف رابطة علماء المسلمين الحقيقة تحقيق شيء من ذلك، لكن أريد أن أوضح نقطة أن رابطة علماء المسلمين ليست بديلاً عن غيرها، إذا كان الباب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، إنما هي تتكامل مع غيرها وإذا وجد اختلاف مع اتحادات أو غيرها فأقول كلمة أردها دائمًا: نتعاون فيما اتفقنا فيه، ونتناقش ونتحاور فيما اختلفنا فيه، ولا أقول يعذر بعضاً فيما اختلفنا فيه كيف أعذره في خطأ صريح، لا، إنما نتحاور، أنا لا أشك في أنه يريد الحق، فما دام يريد الحق فليحاورني فليجادلني إذا كان الحق معه أخذته إذا كان معي فليأخذ به، نعم ونصل إلى نتيجة، لكن نتعاون فيما اتفقنا فيه. مشكلتنا كلمة أقولها مرة أخرى: إن معرفتنا - مع كل أسف - بالفروق التي بيننا أكثر من معرفتنا بالنقاط الإيجابية، فالمفروض أن نعرف نقاط الإيجاب والتلاقي مع معرفة أيضًا نقاط الاختلاف، فنقاط الإيجاب نفعها تعاوناً، ونقاط الاختلاف أيضًا تلافاً تحاوراً وتجادلاً ومناصحة، مع قول كلمة الحق.

ولعل كان هناك نوع من التلاقي الكبير في الثورة السورية في بيان المائة وسبعة وبين الرابطة والاتحاد، جزاكم الله خيراً. فهذا دور الرابطة، وبإذن الله لنا أمل، وننتظر ولا نريد كثرة الوعود إنما نريد الحقائق تمشي على الأرض، هذا الذي أقوله، أما أسأل ماذا ستفعلون؟ الله أعلم نحن نجتهد ونحاول، إنما سترون الحقائق إذا ظهرت الحقائق على الأرض انظروها، أما إذا لم تظهر فقد يكون لدينا من الهمة ومن الحرص لكن لا يتحقق، لا نلقي الناس به وعود، لا نعلم متى تتحقق، فدائماً إنما يكون التبشير والأمل والفعل الإيجاب والأمل بالله - جل وعلا -.

المصدر: موقع المسلم

المصادر: